الأستاذة: يمينة سعودي .

كلية: الآداب واللغات .

قسم :اللغة والأدب العربي .

الفئة المستهدفة :السنة الأولى ليسانس ،المجموعة الأولى.

مادة: النقد القديم .

المحاضرة السادسة :بين المنثور والمنظوم

**تمهيد:**

لايكاد يخلو أي مؤلف من المؤلفات التراثية التي تعنى بعالم الأدب ونقده من إيراد مصطلح النظم والنثر والمقابلة بينهما ،لأن كلام العرب نوعان منظوم ومنثور ،لذلك كان اهتمــــــــام النقاد بهما فاصلا من خلال المفاضلة بينهما برصد المميزات والخصائص ،وإن كانـــــــــت الكتب التي تعنى بدراسة الشعر ونقده أكثر من تلك التي يستقطبها النثر ،لأن الشعر هـــــــو النـــــوع المهيمن في ذاكرة العرب والأقرب إلى الذائقة الفنية .

**المفاضلة بينهما :**

اهتم النقاد القدامى بقضية المفاضلة بين المنظوم والمنثور أيما اهتمام ،وانقسموا إلى فريقيـن انحاز كل منهما إلى أحد الجنسين :

**\*الفريق الأول :**يتمثل فيمن فضل النثر على الشعر ومن رواد هذا الفريق نجد أبا عمرو بن العلاء الذي يقول :"كان الشاعر في الجاهلية يُقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعـــــر الذي يقيد عليهم مفاخرهم ويفخّم شأنهم ويُهول على عدوّهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم ،فلما كثر الشعر والشعراء ،واتخذوا الشـعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعـر ."

ثم تبعه الجاحظ في هذا الرأي وسار معه حيث قال هو الآخر :"وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب ،وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم فلما كثر الشعر صـــــــــــار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر ."

وقد لخص المرزوقي كل ذلك مقدما ثلاثة أدلة على أفضلية النثر على الشعر وهي :

1-أن ملوك العرب قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان بها ويعدونها أكمل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزعامة .

2-أنهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة ،وتوصلوا به إلى السوقة كما توصلوا به إلى العليـــــة ،وتعرضوا لأعراض الناس ،فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكرم ،والكريم عند تأخــر صلته بصفة اللئيم .

3-كما كان زمن النبي –صلى الله عليه وسلم –زمن الفصاحة والبيان ،جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كاملا منثورا لا شعرا منظوما. .

كما يذهب أبو حيان التوحيدي في معرض المفاضلة بين جنسي النثر والنظم إلى أن النظـــم صناعي محصور بقيود الوزن والقافية ،وأنه مُعرّض للزحاف على خلاف النثر الـــــذي لا يكون إلاّ بديهة وطبيعة في الإنسان وهو خارج عن دائرة العروض ومستلزماته ،وعلى هذا فإن تحرر الكلام المنثور من قيد الوزن و القافية يجعله متسما بالاتساع والامتداد :"مبرأ من التكلف ،منزه عن الضرورة ،غني عن الاعتذار والافتقار ،والتقديم والتأخير والحـــــــــذف والتكرير "على خلاف الكلام المنظوم الذي يتخبط في حصار الوزن ومستلزمات علـــــــــم العروض وقيود التأليف.

**الفريق الثاني :**يمثل المدافعين عن الشعر عدد كبير من النقاد القدامى من بينهم": **المبرد**"الذي يرى أن فضل الشعر لا ينكر ،لأن شروط البلاغة إذا توفرت في الشعر والنثر معا فإن الشاعر أفضل :"لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه ،وزاده وزنا وقافية ".

\*كما حاز" **ابن رشيق** "قصب السبق في ذكر فضل الشعر المعزز بإقامة الحجة وتجليـــــة البرهان ،فافتتح كتابه بعد المقدمة بباب فضل الشعر فيقول:"العرب أفضل الأمم ،وحكمتــها أشرف الحكم ،لفضل اللسان على اليد ،والبعد عن امتهان الجسد ،إذ خروج الحكمة عـــــــن الذات بمشاركة الآلات ،إذ لابد للإنسان من أن يكون تولى ذلك بنفسه ،أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه ."

ففي هذه المقدمة قطع أطماع الكارهين للشعر وروايته في أن ينالوا منه بكلمة أو يـــــــردوه بحجة ،وذلك بتحكيمه أمر الشعر للحكمة التي يتضمنها ،بنص كلام النبيّ –صلى الله عليـــه وسلم- "إن من الشعر لحكمة ،وإن من البيان لسحرا "،وجعل فضل العرب بلغتهم أفضــــــل الأمم لما تحتويه لغتهم من حكمة ،الشعر أول مصادرها .

وراح ابن رشيق يقدم الأدلة التي تثبت فضل الشعر على النثر نذكر منها :

\*1-إن الشعر يمتاز بنظمه ؛فشتان ما بين المنظوم والمنثور :"لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ،ألا ترى أن الدرّ وهو أخو اللفظ ونسيبه وإليه يقاس وبه يشبه ،إذا كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كُسب ،ومن أجله انتخب ،وإن كان أعلى قدرا عليه وأغلى ثمنا ،فإذا نظم كان أصون له من الابتذال وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ،وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع وتدحرج على الطبـــاع ،فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده."

\*2-وإذا كان المرزوقي قد فضل النثر على الشعر لأن القرآن من جنسه كما قال سابقا ،فإن نزول القرآن إنما كان لقوم أسمى ما كانوا يعتزون به هو الشعر ،فعزوا عن الإتيان بمــثله.

\*3-أن الشاعر يخاطب الملك بكاف الخطاب ،كخطابه لأي من السوقة ،ويدعوه باسمــــــه وينسبه إلى أمه ،فلا يُنكر هذا على الشاعر ،بل يرى على أنه أوكد للمدح وأظهر ،خلافـــا للكاتب فلا يستطيع فعل ذلك نثرا إلاّ أن يجعله منظوما في كتاباته .

**ملاحظة** **:أعزائي الطلبة يمكنكم البحث عن آراء نقاد آخرين حول هذه المفاضلة بــــين المنظوم والمنثور ،وأقترح عليكم كتطبيق البحث عن رأي الناقد عبد القاهر الجرجاني .**

للاستزادة أكثر نعود إلى الكتب الآتية :

\*البيان والتبيين للجاحــــــــــــــــــــــــــــــظ .

\*العمدة لابن رشيــــــــــــــــــــــــــــــــــــق .

\*الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيــــدي .

\*شرح الحماسة للمرزوقـــــــــــــــــــــــــي .

\*دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني .